الباب الثالث

بين الاختراق والتبعية

obeikandl.com

obeikandl.com

مظاهر التبعية الإعلامية في العالم العربي

لا شك أن الواقع الإعلامي على المستوى الدولي بما يمثله من هيمنة وسيطرة غربية محكمة، قد ترك آثاراً سيئة على وسائل الإعلام ونظمه في دول العالم النامي ودول العالم العربي والإسلامي من هذه الدول التي تأثرت بهذا الواقع الإعلامي وما زالت تعاني من سلبياته ومشكلاته.

والإعلام في عالمنا العربي والإسلامي يشكو من مرض بالغ الخطورة، يتمثل فيما نسميه التقليد والتبعية لكن بدرجات متفاوته في دول العالم العربي والإسلامي،ويمكن إيجاز الأعراض التي تدل على الظاهرة المرضية فيما يلي:

١- الاعتماد على التقنية الأجنبية، والخبرة الأجنبية، في بناء وتسيير البنى الأساسية للإعلام، في العديد من الدول العربية والإسلامية.

٢- استعارة المفاهيم والنظم والنظريات الإعلامية الغربية التي أصبحت تمارس في واقع العمل الإعلامي، وتدرس في المعاهد والجامعات في العالم العربي والإسلامي.

٣- استيراد المواد والبرامج الإعلامية من الدول الغربية وهي لا تنبع من قيم ومبادئ وتقاليد المجتمعات الإسلامية، ولا تلبي حاجاتها ولا تعالج

مشكلاتها وقضاياها، فضلاً عن أنها تروج لأفكار الغرب وحضارته وتقاليده وقيمه.

٤- تسييس الإعلام وتسخيره لخدمة الأغراض السياسية والحزبية في كثير من دول العالم العربي والإسلامي، مما أفقده القدرة على الحركة والحرية والإبداع.

٥- تضخم الوظيفة الترفيهية لوسائل الإعلام، حتى طغت على الوظائف الأخرى، مع اشتداد حاجة المجتمعات العربية وهي تخوض معركة التنمية والبناء والتغيير إلى توظيف وسائل الإعلام لخدمة أغراض هذه المعركة الحضارية والاجتماعية الحاسمة.

٦- ضعف الاهتمام بالجوانب الفكرية والعلمية للإعلام، مما كان له أثر في عدم توفير المناخ الملائم لتطوير الفكر الإعلامي العربي المسلم، الذي يختلف عما سواه في أصوله وأهدافه وغاياته، وطرق ممارسته.

أولاً الاختراق الغربى:

وكالات الأنباء الأجنبية واختراق الإعلام العربى

أن كل الأخبار تأتى إلى الاعلاميين العرب تأتيهم عبر وكالات أجنبية وأمريكية فتغطية الأخبار في العراق مثلاً تتم عن طريق أمريكا وحتى المصطلحات التي تُستعمَّل ليس لأنها تسيء للمشاعر الأميركية لأن

المقاومة قتلت من العراقيين أكثر بكثير مما قتلت من الأميركيين وأفنت وتفني الشعب العراقي وتسعى واشنطن دائماً إلى القيام بمهمتين في وقت واحد، المهمة الأولى محاولة اغتيال كافة الأصوات المهنية الحرة كما يحدث من تهديدات علانية على لسان رامسفيلد ضد قناتي الجزيرة والعربية وغيرها من وسائل الإعلام التي ترفض الانصياع للخط الأمريكي وتتغاضى عن أدائها المهني لحساب السياسة الأمريكية والنقطة الثانية هناك اختراق منظم لبعض الصحفيين ووسائل الإعلام العربية لتبني الخطاب الأمريكي والتشكيك في الثوابت القومية وهذا نراه يومياً سواء على الفضائيات أو على الصحف نرى هؤلاء المتأمركين الذين يحدثوننا بلغة الإرهاب فالمقاومة هي الإرهاب وإسرائيل كان يجب الاعتراف بها وقس على ذلك ما يتم الآن من خلال خلق رسائل إعلانية أمريكية مباشرة كما يحدث مع الحرة وسوا وما يحكم الاعلام العربى هو منطق العملاء وهذا المنطق الذي نراه الآن بقصد ضرب ثوابت الأمة، ولقد سمعنا خطاب بوش الذي يحدد فيه ٨٤ مليون دولار لإنشاء صحف ووسائل إعلام جديدة، وفي مصر بدأت شركة هاليبرتون عبر أحد رجالها في مصر فى البدء في إصدار صحيفة يومية ورصدت لها خمسة مليون دولار وهناك اتجاه لإصدار العديد من الصحف بوجوه عربية ولكن توجهها أمريكي٠

أحد أساتذة الجامعة الأميركية في القاهرة قال ضاحكاً ذات مرة إنه أصبح يقرأ بعض الصحف العربية مستعيضاً بها عن قراءة نيويورك تايمز ليس فقط لكي يقوي لغته العربية لكن لأنها أصبحت حافلة بالتعليقات والتحليلات الأميركية يعني أفتح عدد من الجرائد مثلا أرى نفس المقالات نفس الكتاب في النيويورك تايمز وواشنطن بوست يُنشرون اليوم عبر اتفاقات مكتوبة.

محاولة إختراق الإعلام العربى:

عندما تمكن اليهود من السيطرة على الإعلام في الغرب عامة وأمريكا خاصة انتقل الصهاينة للتغلغل فى الإعلام العربي فأسسوا قناة ناطقة بالعربية تحت إسم الفضائية الإسرائيلية وهذه القناة تعكس قلق وأزمة الصهيونية لأن الكيان الصهيوني استشعر الخطر من إستيقاظ الشعب العربي و الأمة الإسلامية وأنها أصبحت واعية فبعد أن إنفض الجمهور عن أفكار الإستسلام والتطويع وحلت مكانها ثقافة الإستشهاد والمقاومة جاءت هذه القناة لتحاول إعادة هذه الأفكار الإنهزامية الإستسلامية إلى الأذهان والهدف الأول الذي رسم لهذه القناة هو الرد على الصورة التي أحدثتها الإنتفاضة وتشويه الأخبار الواردة من فلسطين المحتلة وتلميع صورة جيش الإرهاب وكسر التأييد الذي كسبته الإنتفاضة ويصرف الكيان الصهيوني على هذه القناة حوالي ١٨ مليون سنوياً كما أنه

استأجر مكتب العلاقات الأمريكية بحوالي ٢٠٠ مليون دولار سنوياً لتلميع صورته في الغرب كما سخر وسائل إعلام أخرى لخدمة نفس الأهداف مثل إذاعة صوت أمريكا وإذاعة سوا كما أن هذه القنوات لم تدخر جهداً في جذب المشاهدين ببث أغاني عربية من هذا الجيل وتقدم نشرات أخبار وأفلام ومباريات كرة القدم وعندما كان البث الفضائي لمباريات نهائيات كأس العالم ٢٠٠٢ في اليابان وكوريا ذو تكاليف مرتفعة كنا نجد هذه المباريات منقولة على الهواء مباشرة بتعليق وتحليل عربي موجه إلينا لجلب عقول شبابنا لمتابعة مثل هذه القنوات.

اليهود والصحافة العراقية:

ومثالاً على التغلغل اليهودى فى الصحافة العربية الصحافة العراقية قال الأستاذ أحمد فوزي في كتابه: غرب أم غروب، قصة عبدالكريم قاسم المطبوع سنة ١٩٦١م ص ٩٦- ١٠٠: وهنا يجدر بنا أن نذكِّر أن اليهود كانوا طوال عِدَّة سنين هم المشرفين الحقيقيين على الصحافة العراقية،وعلى أجهزة الدعاية لحكم نوري السعيد، باستثناء تلك الصحف القومية التي كانت تقف مناهضة لحكم نوري السعيد وطغمته فمنذ أن أحسَّ نوري السعيد بعد الحرب العالمية الثانية بضرورة إعادة النظر في أجهزة الدعاية من إذاعة وصحافة أجيرة رأى أن أفضل الأدوات بيَدِه هم الوكلاء في الطابور الخامس اليهودي، فأفسَح المجال لهم وشجعهم

،وأمدهم بالمعونة المادية والمعنوية ومن المؤسِف أن نرى عددًا غير يسير من الصحف العراقية أيام حكْم نوري السعيد قد خضعت لتوجيه مباشر من الوكلاء اليهود ويكفي أن نشير إلى أن نعيم قطان اليهودي كان قد سيطر لسنوات عديدة على صحافة الحزب الوطني الديمقراطي، وكامل الجادرجي كان يعقد جلساته مع هذا اليهودي مساء كل يوم؛ لكي يتباحث وإياه حول المقال الافتتاحي لصحيفة الأهالي أو صوت الأهالي، وكان نعيم قطان بعد ذلك يضع النقاط الرئيسة للمقال بنفسه ليكتبها هو وأحد أعضاء الحزب أما السياسة الخارجية في الصحيفة الناطقة بلسان هذا الحزب، فكان يشرف عليها يهودي آخر هو مراد العماري، وكان مراد العماري يدَّعي معارَضة الحكومة ومناوأة نوري السعيد ويعقد جلسات سرًّا مع خليل إبراهيم، مدير عام دعاية نوري السعيد، وكانت له اليد الطُّولى في إقامة جهاز الإذاعة والدعاية الذي ترأَّسه مُدَّة طويلة خليل إبراهيم، بالإضافة إلى أن هذا اليهودي كان ذا حَظْوَة واسعة في عدد كبير من الصحف الممالِئَة لحكم نوري السعيد.

وكان له حقُّ الإشراف المعنوي على عدد غير يسير من الصحف، في طليعتها جريدة الزمان، لصاحبها توفيق السمعاني النائب السابق من نوَّاب نوري السعيد وصفي المهداوي اليوم.

واليهودي جاكسول المشرف على التايمس العراقية، وهو صديق حميم لمراد العماري الذي تعاون معه مؤخَّرًا لإصدار هذه الصحيفة واليهودي سليم بصون، الذي اشتغل في عِدَّة صحف مهمة في العراق، كصحيفة الشعب لصاحبها يحيى قاسم، وصحيفة البلاد التي أصدرها مؤخرًا ورثة روفائيل بطي ومن هنا يتَّضح أن الصحف الثرية المموَّلة، التي تمدُّها الحكومات الرجعية المتعاقبة بالمساعدات والمعونات كانت بيد نفر من اليهود، وكلاء الطابور الخامس الصهيوني في العراق أما ورق الجرائد فكان محتكَرًا بيَدِ صهيوني واحد هو دنكور وأولاده، وموزِّع الورق على الصحف هو اليهودي عزوري.

أما المطابع فأكبر مؤسَّسة طباعة في العراق هي شركة الطباعة والتجارة المحدودة، لمؤسسها وحامل أكبر أسهمها الصحفي اليهودي أنور شاؤول المحامي، بالإضافة إلى وقوع جهاز الدعاية الرسمي تحت تأثير - بل توجيه- اليهودي مراد العماري الآنف الذكر

الإعلام الصهيونى والإعلام المتصهين

قدم الإعلام خدمات كبيرة للغاية للمشروع الصهيوني وهدفه في إقامة كيان إسرائيل، حيث شكل حجر الزاوية في الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة الصهيونية على يد الصحفي اليهودي تيودور هرتزل الذي استطاع عقد المؤتمر الصهيوني الأول في ١٨٩٧ في مدينة بال

بسويسرا، وكان من نتائج المؤتمر إصدار مجلة أسبوعية وصدر العدد الأول منها في الثالث يونيو عام ١٨٩٧ تحت أسم دي وولت.

ومنذ ذلك الوقت والإعلام يشكل حجر الزاوية في الاستراتيجية الصهيونية التي أخذت بعداً آخر بعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، حينما اندمج الإعلام بشكل كامل ومطلق بالسياسة الخارجية الإسرائيلية ولقد حرصت الدولة العبرية على إنشاء المؤسسات الإعلامية باللغة العربية لتحقيق الأهداف الآتية:

- تسويق مواقف الحكومة الإسرائيلية في أوساط فلسطينيي عام ١٩٤٨، الذين كانوا يعيشون تحت الحكم العسكري المباشر.

- المساهمة في الحرب النفسية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني والأمّة العربية، عبر بثّ الإشاعات والأراجيف من أجل إشاعة أجواء من عدم الاستقرار في المنطقة العربية والنيل من معنويات العرب والمسلمين.

ولعل أهم آلية استخدمتها وسائل الإعلام باللغة العربية هي تيئيس المتلقّي العربي من إمكانية تحقيق أي طائل من المواجهة مع الكيان العبري، وإثبات أنه لا يمكن للعرب إلا أن يخسروا إذا أصروا على مواصلة التمسك بخيار القوة في المواجهة.

- ممارسة الضغوط على أنظمة الحكم العربي، سواء الموقّعة على اتفاقيات سلام أو التي هي في حالة حرب، وذلك عبر بثّ إشاعات وحقائق، حول الأنظمة العربية من أجل ممارسة الضغط في لحظة ترى أجهزة المخابرات الإسرائيلية أن ذلك يخدم المصلحة الإسرائيلية، وهناك صور كثيرة ومتعددة لممارسة هذه الضغوط، مثل الحديث عن الأوضاع الصحية للزعماء العرب، والعلاقات في الدوائر الضيقة التي تحيط بهم، وكشف كل ما يمكن أن يسبب إحراجاً لهم، فضلاً عن التطرق لما قد يوصف أنه فضائح.

وكان بن جوريون أحد رؤساء الحكومات الإسرائيلية السابقين يرى أن وظيفة الإعلام الإسرائيلي، الدفاع عن المشروع الصهيوني وأسس عند إعلان قيام الكيان الإسرائيلي، ما يسمى بهيئة رؤساء تحرير الصحف التي ضمت جميع رؤساء الصحف المستقلة والحزبية، آنذاك، واعتبرت أذرع الموساد الإسرائيلي، حيث قامت بمهام الرقابة المحكمة على الإعلام الإسرائيلي وتعمل أجهزة وأدوات الإعلام الإسرائيلي الداخلية والخارجية في تنسيق يكاد يكون كاملاً ومن أبرز وسائل الإعلام الإسرائيلي الصحافة، حيث تحتل الصحافة الإسرائيلية مركز الصدارة بين وسائل الإعلام والدعاية في إسرائيل فقد أدركت الصهيونية خطورة هذه الوسيلة ودورها في تكوين وتوجيه الرأي العام فعمدت إلى

استغلالها والسيطرة عليها في أماكن كثيرة من العالم وتوجيهها الوجهة التي تخدم مصالحها.

واستطاعت الصهيونية عن طريق الصحافة التغلغل والتسلل إلى الحكومات الغربية إضافة إلى تغلغلها في المنظمات والتشكيلات السياسية والاجتماعية ومراكز النفوذ والقوى الضاغطة وتشير الإحصاءات إلى أن الصهيونية تمتلك ما يقرب من ١٠٣٥ صحيفة ومجلة على مستوى العالم منها ٢٥٤ في أميركا وحدها و١٥٨ في أوروبا و٣٢ في أفريقيا، وتعتبر الصحافة اليهودية أوسع شبكة صحافية تصدرها مجموعة بشرية في العالم هذا إضافة إلى سيطرة اليهود على أكثر وكالات الأنباء العالمية، كما يتغلغل اليهود في جميع وكالات الأنباء الوطنية في أميركا والدول الأوروبية الغربية.

ولقد اكتشفت الحركة الصهيونية أهمية الإعلام وتأثيره على الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين عبر توظيف وسائل إعلام باللغة العربية وأفردت عصابات الهاجاناه، الذراع العسكرية للحركة الصهيونية قبل قيام الكيان الإسرائيلي وقتاً من البثّ باللغة العربية عبر إذاعتها التي كانت تبثّ منذ أوائل الأربعينات من القرن الماضي، حيث كانت تنقل رسائل لدبّ الذعر في نفوس الفلسطينيين من أجل إجبارهم على ترك ديارهم، وكانت توظف فنون الحرب النفسية في هذه الرسائل، في حين

نجد أن المنظمات الإرهابية اليهودية التي كانت قائمة قبل الكيان مثل ليحي واتسل كانت لها إذاعاتها الخاصة، وتبثّ أيضاً لبعض الوقت باللغة العربية، وكان المذيعون يعددون الجرائم التي قام بها أعضاء المنظمتين ضد العرب من أجل دبّ الفزع في نفوس البقية الباقية من المواطنين الفلسطينيين وإجبارهم على الهرب والفرار، إلى جانب ذلك فقد اعتادت المؤسسات الصهيونية توزيع المنشورات باللغة العربية تدعو الفلسطينيين للرحيل فوراً.

إلى جانب الإذاعة ومنذ أوائل الخمسينات من القرن الماضي، عكفت الحكومات الإسرائيلية ونقابة العمال العامة الهستدروت، على إصدار صحف باللغة العربية، فتم إصدار صحف اليوم والأنباء والخبر إلى جانب بعض المطبوعات الدورية وغير الدورية وكان يقوم على تحرير هذه الصحف والمطبوعات عدد من المثقفين اليهود الذين قدِموا من الدول العربية، إلى جانب عدد من الفلسطينيين الذين استطاعت مؤسسة الحكم في الدولة العبرية إغواءهم لكي يكونوا بوقاً للتغرير بأبناء وطنهم.

كما تتدخل الدولة العبرية بشكل مباشر فى معظم الأنشطة الإعلامية، ويعتبر قانون المطبوعات لعام ١٩٣٣ مرجع تنظيم العلاقة بين المؤسسة السياسية والصحافة المكتوبة الذي يعطي الدولة حق منع إصدار وإغلاق الصحف، وقانون سلطة البث لعام ١٩٦٥، وقانون

السلطة الثانية لعام ١٩٩٠، وقانون خدمة الاتصال السريعة، كل ذلك جعل هذا الكيان يراقب كل ما يكتب أو يقال، كما أوجدت ناطقاً لكل مؤسسة حكومية كنوع من الرقابة الإضافية، الأخيرة في كل ما ينشر عن ذلك، فكان هناك استسلام إرادي للإعلام تجاه المؤسسة السياسية.

ورغم ضخامة المجهود الإعلامي الإسرائيلي فإن إسرائيل من الدول القليلة في العالم التي لا توجد فيها وزارة إعلام، ولكن عدم وجود وزارة إعلام إسرائيلية لا يعني بأن الأمور تجري بشكل عشوائي فهناك بيت اغرون وهي دائرة إعلام حكومية، وكذلك رابطة الصحافيين وهى إحدى حلقات تنظيم العلاقة بين الصحف والسلطة، كما أن لكل وزارة ودائرة ناطقاً رسمياً له أوصافه ومهامه، وله عدة مساعدين لصياغة ردود الفعل.

ورأينا وسمعنا من ينتصر لإسرائيل ويجد مبرراً لها في ارتكاب الجرائم ويبدو من المؤسف أنه في المعركة الإعلامية المرافقة دائماً للعدوان على غزة أو الجنوب اللبناني يتم تجنيد المئات من الإعلاميين الصهاينة والأجانب ومنهم العرب، وهذا ما عكسه التشابه في الخطاب الإعلامي الصهيوني وبعض وسائل الإعلام العربية في تغطية ما جرى في غزة أو جنوب لبنان وبعضها دعمت رؤية إسرائيل بشكل كبير، بل رأينا من يشمت فيما كان يحدث، والأخطر من كل هذا أن كلمة عدوان غابت عن

معظم وسائل الإعلام ليتم استبدالها بكلمة العنف، في تسويق لمفهوم يوازي بين القاتل والمقتول.

إضافة إلى كل ذلك نجد كماً هائلاً من النعيق والمهاترات التي صدحت من إعلاميين وسياسيين ومدونين من المفترض أنهم عرب ومسلمون نسوا أو تناسوا أن إسرائيل هي في النهاية عدونا التاريخي ونسوا جرائمها المفتوحة ضد الفلسطينيين والعرب وذهبت هذه الأصوات لتبرر العدوان فظهر كم الأحقاد التي باتت تصدح علناً دونما حاجة لتفسير إن ما جرى ويجري من تصهين بعض الإعلام العربي يفرض علينا تساؤلات جمّة عن طبيعة وسائل الإعلام العربي هذا الإعلام الذي يعيش على جميع الموائد الدسمة ولا يخلو خطاب التصهين من حديث عن الدمار الذي تحدثه الآلة العسكرية الإسرائيلية إلا أن اللوم يُلقي مرة إثر مرة على الضحايا، ودائماً يسعى الخطاب المتصهين إلى تشويه صورة المقاومة سواء الفلسطينية أو اللبنانية، من خلال استراتيجيات دعائية ملفقة، تتخذ من التضليل والإغراق وسائل لإنتاجها وترويجها.

لكن الرهان يظل على وعي الجماهير بعدم تأثير الخطاب المتصهين، وافتقاره إلى أي منطق، إلا إلى الدعاية الفجة للعدو ورغم ذلك فهناك فشل ذريع من قبل الإدارة الأمريكية في محاولتها السيطرة على عقول

الرأي العام العربي هذا أمر واضح ولكن هناك حلول بديهية لحماية الرأي العام والإعلام العربي من الاختراق والتدخل الأميركي.

ثانياً:الاختراق الشيعى للاعلام العربى

كان لوسائل الإعلام والتواصل دور فعال منذ بداية القرن العشرين في نقل الأفكار من مجتمع لآخر، والتأثير على آراء الجماعات والمجتمعات، بهدف تغيير قناعاتها، ودفعها لتبني وجهة نظر تخدم هذه الجهة أو تلك ومنذ الحرب العالمية الثانية، عرفت الأنظمة السياسة أهمية الإعلام، والدعاية الإعلامية، ودورها في خدمة الأهداف والقضايا الوطنية، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، خاصة مع احتدام الصراع الثنائي بين المعسكر الرأسمالي،والاشتراكي، الأمر الذي دفع كل طرف إلى التفكير في أفضل السبل لتوظيف جهاز الدعاية الوطنية، وأفضل سبل اختراق جهاز دعاية العدو بهدف التأثير عليه وجعله يخدم الأهداف الوطنية خاصة خلال الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي.

تشكل فكرة الولي الفقيه التي أتى بها الخوميني ذو الجذور الهندية، الوجه المقابل لفكرة تصدير الثورة والثورة المستمرة التي كانت عند تروتسكي أحد زعماء الفكر الشيوعي في الاتحاد السوفيتي سابقاً، حيث هناك من يعتقد أن ثورة الخوميني تبنت نفس الشعار الذي رفعه تروتسكي، غير أنه يمكن القول أن مصطلح تصدير الثورة يقدم دلالات

تمويهية نوعاً ما، فهو ليس من قبيل نشر الفكر الثوري كما في زمن الشيوعية أو القومية الناصرية، لكن المصطلح في حقيقته مرادف لمصطلح الفتح في المفهوم الإسلامي، أي إعادة فتح بلاد الإسلام وإخضاعها لحكم الولي الفقيه[1]، ففي إحدى خطب الجمعة التي يكلف بها الخطيب مباشرة من المرشد خامنئي وهو متكئ على مدفع رشاش بجانبه، قال إن : الشيعة يعتقدون أن دار الإسلام كلها يجب أن تنضوي تحت قيادة وزعامة إمام معصوم واحد إذا كان هناك بلد إسلامي واحد يحكمه نظام الولي الفقيه،ويجب على المسلمين الذين يعيشون في بلدان غير إسلامية إطاعة أوامره فطاعة الولي الفقيه واجبة أيضاً حتى على المسلمين في دول غير إسلامية، سواء بايعوا أم لم يبايعوا، لأن البيعة حسب نظرية ولاية الفقيه المطلقة لا دور لها في شرعية الولي الفقيه ومبدأ تصدير الثورة من الأهداف التي يتفق عليها المحافظون في إيران وفريق كبير من الإصلاحيين، وقد صنف الباحث الإيراني حجت مرتجي ست تيارات سياسية رئيسية في إيران[2]، أربعة منها تؤيد هدف تصدير الثورة، والتياران الآخران: رسالة الطالب، والعمال، لا ينفيان أهمية

---

١ - د. مصطفى اللباد، حدائق الأحزان، ص 133-134، نقلا عن حزب الله وسقط القناع، ص 33/34.

٢ -التيارات السياسية في إيران، ص 160/190.

تصدير الثورة لكنهما لا يجعلان له الأولوية دائماً.

وبناء على هذا، فتصدير الثورة أمر لا زم لنظرية ولي الفقيه الخومينية، ولا مناص من العمل على إخضاع كل الدول الإسلامية لسلطة الولي الفقيه بكل الوسائل الممكنة، وبطبيعة الحال يشكل الإعلام وأجهزة الدعاية المنطلق لغزو العقول، قبل غزو البلدان حسب منظور القائمين على النظام في إيران، حيث تفنن نظام الثورة في استغلال وسائل الإعلام الوطنية، وعمل أيضاً على اختراق كثير من أجهزة الدعاية والإعلام، خاصة في الوطن العربي والبلاد الإسلامية الأخرى، لأجل التطبيع مع أفكار ثورة الخوميني والترويج لعقيدة الولي الفقيه، ولبلوغ تلك الغاية يعمل ساسة إيران وعملاؤهم في العالمين العربي والإسلامي على توظيف مختلف وسائل الاتصال والإعلام بجميع أنواعها المكتوبة والمرئية، من مجلات وجرائد وقنوات فضائية شيعية، بما في ذلك استئجار بعض الأقلام والكتاب الصحفيين، ومراسلين في العديد من القنوات الفضائية المحسوبة على أهل السنة وعليه، سنحاول بيان ورصد اختراق الشيعة لوسائل الإعلام من خلال تناول ثلاث محاور:

١ـ وسائل الإعلام المكتوبة ذات التأثير الشيعي بين أوساط السنة.

٢ـ القنوات الفضائية الشيعية.

٣-اختراق المنابر والقنوات الفضائية المحسوبة على أهل السنة.

وسائل الإعلام فمنذ نهاية الحرب العراقية الإيرانية، وفي بداية التسعينيات من القرن الماضي انتقل نظام حكم الملالي في إيران، إلى أسلوب التغلغل الناعم بدل الحرب كوسيلة بديلة لتصديرمبادئ ثورة الخوميني، والترويج للمشروع الثوري الشيعي بين أوساط السنة في العالم العربي، عن طريق استعمال جهاز الدعاية المتعدد الأذرع، فتم إنشاء العديد من منابر الإعلام، والمجلات الصحفية، والدوريات الفكرية والسياسية وتركيز توجيهها لمخاطبة السنة في بلدانهم على طول العالم العربي وعرضه، وفيض المجلات الفكرية المشرقية التي يعج بها السوق المغربي، تمول من قبل معاهد ومراكز أبحاث شيعية أو موالية للشيعة، لكنها لا تنشر للشيعة فقط، على اعتبار أن العديد من الأسماء السنية تنشر بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، يوسف القرضاوي، محمد عمارة، أحمد كمال أبو المجد، أبو يعرب المرزوقي، خالص جلبي، أحمد صدقي الدجاني ولأسباب موضوعية مرتبطة بقلة منابر الفكر السني،خاصة أن المجلات الإسلامية السنية يطغى عليها الطابع الصحفي الصرف، مقارنة مع الطابع الفكري الذي يميز المنابر السالفة الذكر ويمكن أن نقارن أساساً بين تلك المنابر ومجلات مثل الوعي الإسلامي، منار الإسلام، الفرقان وكلها من دول الخليج العربي.

مجرد استعراض الأسماء المشرفة على إدارة تحرير هذه المنابر يحيل على المراجع الشيعية الصريحة، ومنهم على الخصوص، عبد الجبار الرفاعي، محمد الهاشمي الشاهرودي، حيدر حب الله، هاني عبد الله، الشيخ أسد الله حسني عن فصلية المنهاج، محمد رضا نور اللهيان المهاجر، نجف علي ميرزائي الحياة الطيبة،جعفر الشيرازي، مرتضى معاش، عبد الله الفريجي، حيدر الجراح النبأ، الشيخ مهدي العطار، علي المؤمن، زينب شوربا، محسن الموسوي المستقبل أو جعفر حسين، متوكل علي، حسن علي البصائر وبالنسبة لموضوعات هذه المجلات، فتتيمز بالتنوع والانفتاح على ملفات تجديد علم الكلام، التأويل، التعريف بفقه آل البيت، تمرير ملفات حول المشروع الشيعي العقدي والفكري كما هو شأن البصائر التي تروج بين المتتبعين لأفكار شيعية متشددة.

وحتى نستوعب مدى خصوبة الأرضية التي تقتات عليها هذه المجلات، مما يسهل الاختراق البطيئ والفعال، نأخذ حالة المغرب نموذجاً، حيث تواضع منتج المنابر الإسلامية، منها مثلاً مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف، وفي المقابل، نجد فصلية فكرية رصينة تحمل إسم المنعطف يشرف عليها عدة أسماء لامعة وشابة في وجدة التي تعاني الأمرين قبل الصدور بحد أدنى من الإمكانيات المادية، دون أن يمنعها ذلك من أن تنشر لأسماء فكرية تكاد تصنف ضمن خانة أعلى عليين مثل الفيلسوف المجدد طه عبد الرحمن، المفكر الموسوعي عبد الوهاب

المسيري أو المرحوم علي عزت بيجوفيتش، وطبيعي أن أفق المعرفة والتنظير لمثل هذه القمم لا يمكن أن تستوعبه مجلة مثل دعوة الحق، ومعها المنابر الإسلامية الحركية فطبيعي، في ظل هذا الفارق بين أفق المنعطف بإمكانيات محدودة ودعوة الحق بتبني رسمي من الوزارة الوصية، أن تنتهج منابر الشيعة التمويل لتبعات هذا الخلل، من أجل كسب شريحة لا يستهان بها من القراء، إسلاميين حركيين كانوا، أو باحثين متتبعين ومهتمين بطبيعة الملفات الدينية والفكرية والسياسية التي تنشر في تلك المنابر ولا يختلف الأمر كثيراً مع باقي الدول العربية ذات الأغلبية السنية، وكل هذه مقدمات ميدانية تكرس تغلغل هذه المنابر، في إطار منظور استراتيجي يندرج بصيغة أو بأخرى ضمن خانة تصدير المعرفة الإيرانية، بعد تواضع نتائج تصدير الثورة الإيرانية.

القنوات الفضائية الشيعية تغزو المجال السني

بعد سقوط نظام الحكم في العراق، بقيادة صدام حسين، بواسطة الغزو الأنجلوأمريكي لبلاد الرافدين وتواطؤ كثير من الخونة العرب والإيرانيين، وتولي قيادة وحكم العراق قوى شيعية متشددة كانت إلى أمس القريب في خانة المعارضة تحت إشراف سلطة الاحتلال الأمريكي، ظهرت إلى الوجود العديد من المنابر والفضائيات الإعلامية والدينية الشيعية تميز خطابها بالتحامل على كل ما هو عقائدي وتاريخي سني،

ويجمع العديد من المراقبين والمتتبعين على طغيان الجانب الطائفي في تناول تلك الفضائيات لمختلف القضايا المعروضة، السياسية والعقائدية والفكرية، يروم خدمة المشروع الثوري والتوسع الإيراني في المنطقة العربية، ويمكن حصر تلك القنوات الفضائية الشيعية التي سخرت لخدمة أهداف الشيعة بشكل عام والأهداف الإيرانية بشكل خاص على الشكل التالي:

أهم القنوات الشيعية: من الممكن حصر أشهر القنوات الشيعية التي تحظى بنسب مشاهدة ليست قليلة في أوساط الشيعة العرب، في الآتي: قناة أهل البيت وتعد من أكثر قنوات الشيعة انتشاراً، ومكان بثها كربلاء فى العراق، وهي مدعومة من آية الله السيد هادي المدرسي، وهو من المعروفين في العراق، ولدى الشيعة بشكل عام، والقناة تقدم برامجها بثلاث لغات العربية، والإنجليزية، والأوردية، ويليها قناة الأنوار، الأولى والثانية، ومركز بثها الكويت، على الأقمار الثلاثة الرئيسية، الأولى متخصصة في الحوارات والدراسات المذهبية، والثانية تعمل على نشر الطقوس الشيعية مثل اللطميات والأدعية والبكائيات، وكلاهما مملوك لأحد النواب الكويتيين.

وكذلك قناة المنار اللبنانية المملوكة لحزب الله، وإن كانت ذات أبعاد سياسية من حيث الموضوعات والأهداف، لكن هذا لا يمنع بثها للعديد

من البرامج الدينية المذهبية بشكل مباشر وقناة المعارف، وتُبث من البحرين، وتعود ملكيتها للشيخ حبيب الكاظمي،وهو ممن لهم تواجدهم الخاص في العديد من البلدان ذات الكثافة الشيعية مثل العراق وقم ولبنان والعديد من القنوات الأخرى مثل الزهراء وتبث من لندن، وعلى القمر الأوروبي الهوت بيرد فقط، والفرات وتبث من العراق، وتابعة لمجلس الثورة الإسلامية بالعراق، وكذلك قناة الكوثر وهي قناة إيرانية ناطقة باللغة العربية، تتبع بشكل مباشر حكومة إيران.

والملاحظة الجديرة بالذكر أن معظم تلك القنوات حديثة العهد فلم يتجاوز أقدمها، وهي قناة أهل البيت عام ٢٠٠٥، وأحدثها قناة فورتين أو الأربعة عشر إشارة إلى الأربعة عشر معصوماً، وهم الإثنا عشر إماماً والنبي وفاطمة عدة أشهر، فهذه القنوات وإن كانت الأكثر حضوراً لكن هناك غيرها قنوات كثيرة تقف معها على ذات الأرضية.

ويبدو أن تأثير هذه القنوات في تصاعد، حيث أضحت تحظى بنسب مشاهدة ليست قليلة في أوساط السنة ،لعدة عوامل، أبرزها الدعاية الممنهجة التي يقوم بها جهاز الدعاية الإيراني الرسمي على المستوى السياسي في الترويج للمشروع الشيعي عموماً، والمشروع الإيراني على وجه الخصوص، عبر عرضه النظام الإيراني على أنه القادر على التصدي للأطماع الأمريكية والصهيونية في المنطقة، وأنه المساند

الفعلي والقوي للقضية الفلسطينية، وهو نفس الأمر الذي تقوم به قناة المنار التابعة لحزب الله الشيعي في لبنان، حيث يعمل الحزب وجهازه الإعلامي جاهداً على تزيين صورة التشيع في ذهن المتلقي السني، في سعي حثيث لاحتلال مساحات شاسعة على مستوى المجال الإعلامي المطروح على المستوى العربي.

غير أنه يمكن قياس نسب التأثير الذي تقوم به القنوات الفضائية الشيعية عبر وسيلتين اثنتين: أولاهما متابعة رد الفعل في القنوات السنية، خاصة القنوات التي تتبنى خطاب سياسي بديل، فنلاحظ أن تلك القنوات تمثل نقداً للخطاب الشيعي المعلن في قنواته، ويتم ذلك بكثافة متزامنة مع حمى النقد الشيعي للمذهب السني، في قضايا مثل الشفاعة والإمامة وسب الصحابة، وغيرها.

أغلب القنوات الشيعية التي تمارس أدواراً نقدية للسنة، تعمد إلى فتح حوارات مباشرة مع الجمهور بشكل عام، فيكون أغلب المتصلين بتلك القنوات من السنة الذين يدافعون أو يسألون، وبديهي أن يتم هذا في سياق برنامج يعرض لأفكار ضد عقيدة أو مذهب المتصل، لكن الكثافة تبدو ملفتة، خاصة مع قناة مثل أهل البيت، التي تحقق نسبة مشاهدة عالية بين الشيعة، أو غيرها من القنوات، مما يشير إلى أن هذه القنوات تحقق نسبتها كذلك بين السنة.

نقول للذين يحسنون الظن بجهاز الدعاية الشيعي التابع لحزب الله في لبنان أن لا يكونوا ملوكا أكثر من الملك حين يقللون من الدور التبشيري العقائدي لقناة المنار، ويعتبرونها قناة تعبر عن وجهة نظر المقاومة ضد الكيان الصهيوني ليس إلا، نقول أنهم يغفلون عن تحول قناة المنار إلى منبر لنشر العقيدة الجعفرية، وهذا بشهادة الشيعة أنفسهم، وليس تجنياً عليهم، يقول أحد المثقفين الشيعة: فكرة فضائية ومحطة المنار التي يتبناها حزب الله في لبنان مثالاً لمحطة أعطت الفرصة للفكر الجعفري في الانتشار والوصول للمشاهد الإسلامي الذي لم يشهد محطة يبدو فيها نظر هذا المذهب الإسلامي بحرية، ويقول أيضا: التجربة اللبنانية خير دليل على أن الدور الإعلامي يمكن أن تقوم به مؤسسة إعلامية فضائية في التأثير على المجتمعات ونشر الوعي الديني ومذهب أهل البيت إلى كل بيت في العالم الإسلامي.

والمنار تجعل حزب الله مستهدفا بالمؤامرات من جهات عديدة داخلية وخارجية، وتستدعي خطاب النصرة باعتبار أن المظلوم للتآمر يجب تأييده ودعمه، وتقدم قناة المنار هذا الخطاب من خلال برامج الصحافة الغربية والعربية، التي يتم انتقاؤها بعناية شديدة لتأثيرها في تواصل التعبئة الجماهيرية داخل وخارج لبنان.

ثالثاً الاختراق الاستخباري

ذكرت وسائل إعلام إسرائيلية أن نجاح جيشهم في تصفية قيادات عسكرية لحزب الله في الجولان،جاء نتاج قدرة الاستخبارات على اختراق الحزب وجمع معلومات عن تحركاته من مصادر موثوقة داخله.

ونقلت إذاعة الجيش الإسرائيلي، عن مصادر عسكرية قولها إن هناك ما يؤشر على أن محمد شوربة، الذي يوصف بأنه الرجل الثاني في وحدة العمليات الخارجية التابعة لحزب الله، والمعروفة بوحدة ٩١٠، الذي أكد الحزب أنه ألقى القبض عليه بتهمة التخابر مع إسرائيل، لم يكن الوحيد الذي زود إسرائيل بمعلومات حساسة، وأن هناك مصادر أخرى وأشارت المصادر إلى أن تمكن إسرائيل من تحديد تحركات قيادات ميدانية كبيرة في حزب الله واستهدافها بالضبط، يدلل على أن هناك قدراً كبيراً من الاختراق الاستخباري الذي سمح بنجاح العملية وتفاوتت وسائل الإعلام الإسرائيلية في تحديد هوية القيادات الميدانية التي استهدفت، حيث اعتمدت جميع وسائل الإعلام الإسرائلية بشكل خاص على ما بثته قنوات التلفزة ووسائل الإعلام العربية في تحديد هوية القيادات المستهدفة، وقال المعلق العسكري في قناة التلفزة العاشرة الإسرائيلية، ألون بن دافيد، إنه باستثناء جهاد، نجل عماد مغنية قائد

الذراع العسكري لحزب الله الذي اغتالته إسرائيل قبل أربع سنوات، وتأكد مقتله في الهجوم، فإنه لا يمكن التأكد من أي اسم آخر.

وعلى حسابه على تويتر، أوضح بن دافيد أن حزب الله وحده هو الذي بإمكانه تحديد هوية الأشخاص الذين استهدفوا في الهجوم تم مستهدفاً بعض قيادات حزب الله ورجحت صحيفتا إسرائيل اليوم ومعاريف أن يكون الهجوم الذي ينسب لإسرائيل قد جاء بفعل توفر معلومات حول نية القيادات المستهدفة الإعداد لتنفيذ عمليات ضد أهداف إسرائيلية انطلاقا من الجولان وزعمت صحيفة معاريف أن جهاد مغنية تحديداً كان المسؤول عن جبهة الجولان في حزب الله، وأنه كان يعكف على إعداد عمليات لاستهداف إسرائيل ورجحت محافل إسرائيلية أن يقوم حزب الله بالرد على الهجوم الإسرائيلي، لكن بشكل لا يفضي إلى مواجهة عسكرية شاملة وذكر موقع واي نت الإخباري، أن حزب الله ليس بإمكانه أن يتجاهل العملية الإسرائيلية، سيما بعد تهديدات أمينه العام حسن نصر الله لإسرائيل مؤخراً وتفاوتت التقيمات الإسرائيلية حول نوع ومكان وتوقيت رد حزب الله على عملية الاغتيال.

فقد رجح المعلق العسكري في صحيفة هآرتس عاموس هارئيل، أن يكون الرد عبر تنفيذ عملية ضد قوات الاحتلال في منطقة مزارع شبعا، على اعتبار أن الحزب يعتبر المنطقة محتلة، وبالتالي فإنه ينطلق من

افتراض أن هناك شرعية لاستهداف قوات الاحتلال المتمركزة هناك ونوهت صحيفة إسرائيل اليوم، إلى أن هناك احتمال أن يرد حزب الله بالمس بأهداف إسرائيلية في الخارج دون ترك أثر يدلل عليه، حتى لا يوفر لإسرائيل مسوغاً للرد.

ورجح المعلق العسكري في صحيفة يديعوت أحرونوت رون بن يشاي، ألا يتجه حزب الله لشن مواجهة شاملة، بدون الحصول على ضوء أخضر إيراني، منوهاً إلى أن إيران لا يمكنها أن تمنحه هذا الإذن حالياً فإيران معنية بأن يتم توظيف ترسانة حزب الله من الصواريخ في ضرب إسرائيل، في حال أقدمت على قصف المنشآت النووية الإيرانية، وليس قبل ذلك.

رابعاً :الاختراق الصوفي

يعلم الجميع أن المسلمين أهل السنة والجماعة أصبحوا مستهدفين في عقيدتهم ودينهم وفكرهم من طرف أعداء الله على اختلاف توجهاتهم من الكفار والملحدين وأهل البدع والأهواء والفرق الباطنية وكلها تكيد ضد أهل الحق بأساليب وطرق متنوعة ومتعددة مستغلة وسائل الإعلام الجديد والقديم للنفاذ إلى عقول أبناء الإسلام أصحاب العقيدة الصحيحة وأهل السنة والجماعة، إما بنفث سمومهم وشبهاتهم أو نشر عقائدهم الضالة الباطلة بيننا ويكون هذا عبر حيل وأساليب مخادعة وهذا أمر

معتاد من أعداء الله فإنهم يسعون حثيثاً للتغلغل بين صفوفنا لتحقيق مؤامراتهم الخبيثة ضد أهل السنة والجماعة وضد عقيدتهم الصافية {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }التوبة32ومن تلك الفرق التي تحاول التغلغل بيننا بوسائل وأساليب ماكرة لبث سمومهم وأباطيلهم بدعم من الغرب الكافر أو من إيران الصفوية الفرق الصوفية المنحرفة ،ومنها الطريقة الصوفية العزمية ،التي انتشرت خلال السنوات الأخيرة بشكل مريب، ونخص بالذكر هنا الشخص المسمى فوزي محمد أبو زيد وهو شيخ في تلك الطريقة العزمية وقد اخترق أتباعه ومريديه آلاف المواقع والمنتديات ووسائل الإعلام الجديد العربية والإسلامية، بل وتلك الناطقة بالانجليزية لنشر كتب هذا الرجل وما فيها من أباطيل وشرك وخرافات وهذا كله في غفلة من أهل السنة والجماعة بل وصل الحال إلى أن تمكن هؤلاء الصوفية أتباع أبو زيد إلى استلام الإشراف على كثير من الأقسام الإسلامية في المنتديات لدينا ولقد قام بعض الغيورين على عقيدتهم بعرض هذا الأمر على عدد من العلماء والدعاة لتوجيههم التوجيه الصحيح في التعامل مع هذا الباطل، وسؤالهم كان :

١) كيف نتعامل مع المواضيع المنتشرة للصوفية وما الواجب على أصحاب المنتديات والمواقع؟

فقال الشيخ عبدالعزيز الفوزان حفظه الله أرجو الآتي:

*** حذف كل الروابط والمواضيع التي تخصهم.**

*** تحذير كل المواقع والمنتديات التي لا تعرف حقيقتهم بطريقة غير معلنة.**

٢) هل يجوز الإنكار عليه علانية والتحذير منه في جميع وسائل الإعلام أم الاكتفاء بتحذير أصحاب تلك المواقع والمنتديات خصوصا مع استمرار غزوهم ومحاولتهم الحثيثة للرجوع إلى المنتديات التي قامت بحذفهم بطرق مخادعة؟.

فأشار الشيخ سعد الحميد حفظه الله إلى جواز هذا الأمر ما دام هؤلاء الصوفية مستمرين في نشر باطلهم وقال الشيخ عبدالعزيز الفوزان نعم مادام لديكم حقائق دامغة فانشروها وكرروها كما قال ربنا سبحانه وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين أعانكم الله:

وبالتحري والبحث عن المدعو فوزي محمد أبو زيد ومنهجه وعقيدته من خلال موقعه الرسمي، ومن خلال الاطلاع على كتبه الموجودة في موقعه الرسمي (فقط) ظهرت حقائق خطيرة كالتالي :

فوزي محمد أبو زيد شيخ صوفي من صوفية مصر يتبع الطريقة العزمية الصوفية أي من أتباع إمامه محمد ماضي أبو العزايم وهذا ما يذكره فوزي محمد أبو زيد في سيرته الذاتية على موقعه الرسمي.

وهناك مقترحات للتصدى للغزو الشيعى واختراق الاعلام العربى يمكن اختصار هذه المقترحات فيما يلي:

– ضرورة لفت انتباه وسائل الإعلام إلى المسؤولية التي تقع على عاتقها قبل الحفاظ على الهوية الثقافية العربية.

– ضرورة التصدي لوسائل الإعلام التي تروج لثقافة العولمة من قبل المثقفين ومن قبل مؤسسات المجتمع المدني.

–تشجيع وسائل الاتصال التي تسعي إلى الحفاظ على الهوية الثقافية العربية. - الإكثار من المواقع الالكترونية التي تهدف إلى توعية الشباب بمخاطر الانجرار وراء ثقافة العولمة و ضرورة الحفاظ علي هويته الثقافية.

– ضرورة قيام الجامعات بتدعيم وسائل الإعلام التي تبث مواد تدعو الشباب إلى الحفاظ علي هويتهم، وفضح الوسائل التي تعرض مواد تدمر الهوية الثقافية للشباب العربي و حثها علي الكف عن هذا الدور

التدميري الذي لا يساعد إلا على خلق جيل هش مطموس الهوية وأي أمة تبتلي بمثل هذا الجيل هي أمة لا مستقبل لها.

التعاون العربي لتحقيق أهداف التحرر الإعلامي

لابد أن يتكامل الجانب المحلي مع الجانب العربي على المستوى القومي، فنحن أمة واحدة ذات رسالة متطابقة وهموم مشتركة وآمال متوافقة ولا شك أن التعاون الإعلامي فيما بين دولنا العربية يعد جزءاً من سعينا الحثيث نحو الوحدة والتكامل في شتى المجالات والميادين بل إن الوحدة العربية والتكامل العربي خطوة ممهدة للوحدة الإسلامية والتكامل بين دول العالم الإسلامي وشعوبه، حتى يصدق فيها قول الله تعالى في كتابه العزيز:(وإنّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأنَا رَبُّكُمْ فاتقون) (المؤمنون:٥٢) وليس التعاون الإعلامي العربي الذي ندعو إليه ببدع في واقع العالم المعاصر فكثير من الأمم والدول تسعى إلى أيجاد صيغ قومية وإقليمية للتعاون فيما بينها في مجالات متعددة ولو اقتصرنا على المجال الإعلامي لما أعوزتنا الأمثلة والشواهد الحية التي تؤكد لنا هذه الحقيقة، فدول الكتلة الغربية تتعاون فيما بينها عبر العديد من المؤسسات الإعلامية المشتركة، ودول الكتلة الشرقية تتعاون فيما بينها أيضاً عبر بعض الهيئات المشتركة.

ولسنا هنا في مقام إنكار وجود عدد من المؤسسات والهيئات العربية المشتركة التي تسهم في توفير مجالات متنوعة للتعاون الإعلامي بين الدول العربية، لكننا نحس أن ما تحقق من خلال هذه المؤسسات ما زال ضئيلاً، ولا يرتقي إلى مستوى طموحات المخلصين من أبناء هذه الأمة في مختلف أقطار العالم العربي ولا شك أن هذه المؤسسات العربية مثل اتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد وكالات الأنباء العربية، وأجهزة التعاون الإعلامي الخليجي المتعددة، تستطيع أن تقدم الكثير مما يحتاج إليه الإعلام العربي لتطويره وتنميته والارتقاء بمستواه كما أن المؤسسات العلمية والجامعات العربية التي تحتضن أقساماً للإعلام ينتظر منها الكثير مما لم تستطيع تحقيقه حتى الآن ونؤكد باستمرار على أهمية أن تخطى قضية تحرير الإعلام العربي المعاصر من ربقة التبعية والتقليد بمختلف صورها باهتمام المسؤولين والعاملين في الميادين الإعلامية المتنوعة والإعلاميين، وأن تلقى من العناية ما تستحقه في ضوء تزايد خطورة وسائل الإعلام في المجتمعات العربية، وتعاظم قدرتها على التأثير على الأفراد والجماعات، سلباً كان هذا التأثير أو إيجاباً كما أن التحديات التي تواجه الأمة العربية المسلمة في الوقت الراهن سواء على المستوى السياسي، أوالفكري، أو الاقتصادي تفرض علينا أن نعمل على تسخير كافة إمكاناتنا ووسائلنا لمواجهة هذه التحديات الخطيرة، خصوصاً ونحن ندرك أن أعداءنا قد استغلوا وسائلهم

وإمكاناتهم الإعلامية لخدمة أغراضهم، وركبوا مطية الإعلام ليكون سلاحاً فعالاً لحربنا في عقيدتنا، وفكرنا، وانتمائنا، وفي وجودنا، ومعركتنا في البناء والتنمية فالإعلام اليوم أمضى الأسلحة في الصراع الحضاري الذي تدور رحاه في دنيا اليوم، والأمة التي لا تمتلك إعلاماً قوياً فعالاً ينبع من شخصيتها الحضارية ويلبي احتياجاتها ويسهم في معركتها، هي أمة خاسرة في عالم لا مكان فيه إلا للأقوياء.

وتحرر الإعلام العربي وتخليصه من التقليد، ضرورة لازمة، ومطلب حضاري لا غنى عنه وليس هذا التحرر ببدع على إعلامنا العربي، فهو مطلب مشروع للدول النامية بشكل عام وقد أقرت هذا المطلب اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام المنبثقة عن هيئة اليونسكو في وثيقتها رقم ٣٢حيث تقول:(إن تحرير وسائل الإعلام الوطنية، جزء لا يتجزأ من الكفاح الشامل من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، الذي تخوضه الغالبية العظمى من شعوب العالم، التي لا ينبغي أن تُحرم من حقها في بث الإعلام، وتلقيه بطرق موضوعية سليمة ويتساوى الاستقلال إزاء مصادر المعلومات، في أهميته مع الاستقلال التقني، لأن التبعية في مجال الإعلام تؤدي بدورها إلى تعطيل النمو السياسي والاقتصادي.

وبالإضافة إلى كونه مطلباً مشروعاً في ضوء مقررات ومبادئ الهيئات الدولية، فإنه ضرورة لازمة، لأن الأمة التي يعبر عنها الإعلام العربي

ويخدمها أمة متميز، لها وضعها الخاص، ورسالتها الفريدة، فقد اختيرت لتحمل أمانة الإسلام، فتلتزم به عقيدة وشريعة، وتبلغ عنه دعوة وتبشيراً ومن طبيعة الرسالة الإسلامية أنها رسالة عالمية لكل البشر، وما أشد حاجة الإنسانية اليوم إلى الإسلام، لتأوي إليه فيعطيها الأمن والسعادة ويحقق لها ما تصبو إليه من آمال، وما تتطلع إليه من طموحات.

إن تحرر الإعلام العربي من التبعية ليس حاجة وطنية وقومية فحسب، بل حاجة إنسانية دولية وهاهو العالم اليوم يصارع من أجل إيجاد نظام إعلامي عالمي جديد، يكسر احتكار القوى المتسلطة، ويوفر فرصة لتحقيق توازن إعلامي رشيد فهو إذن يدرك تهافت النظام الإعلامي الحالي، ويعترف بقصوره، ويسعى إلى إسقاطه، ويبحث عن بديل له ونحن العرب والمسلمين نملك القدرة على الإسهام الإيجابي الفعال في إيجاد ذلك البديل، الذي تبحث عنه الإنسانية في عالم اليوم فقد جرب العالم كثيراً من الحلول، وطرق كثيراً من المنافذ، بحثاً عن الخلاص، لكنه عاد خائباً محملاً بمزيد من المشكلات والمتاعب والإسلام بمنهجه الرباني الثابت، وقدرته على التجدد والمرونة قادر على أن يقدم الأصلح لعلاج المشكلات الدولية في مجال الاتصال والإعلام.

وتحرر الإعلام العربي من التبعية والتقليد، هو الأمل المنشود الذي يتطلع إليه كل مخلص غيور ولن يتحقق هذا التحرر إلا عندما تتوسع

دائرة الاعتماد على الذات في جميع ميادين الإعلام: صناعة، وفكراً، ونظاماً، وممارسة ولا بد من الإيمان العميق بأن نقطة الانطلاق في حركة تحرر الإعلام العربي من التبعية، تكمن في الإقرار العملي بأن النشاط الإعلامي ينبع من التصورات العقدية والأيديولوجية للمجتمع الذي يعمل فيه، ويتطبع بالقيم والتقاليد، ويتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذلك المجتمع لذلك فمن الضرورى أن نعمل على صياغة نظام إعلامي عربي إسلامي مميز في روحه وجوهره، وأهدافه، ونظمه، وقوانينه، وطرقه وأساليبه.

ولاشك أن الإسلام بفكره وقيمه ومبادئه وحضارته هو الأصل الذي ينبغي أن يصدر عنه ذلك النظام الإعلامي المنشود، وهو الأساس الذي ينبغي أن يستند إليه صياغه للنشاط الإعلامي، وتحديد أبعاده ووظائفه ومسؤولياته في المجتمع العربي كما أن هذا النظام المنشود لا بد أن يتفاعل مع الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية، وتتبلور أسسه وتنظيماته وممارساته بما يخدم مصالح هذه المجتمعات وحاجاتها، وبما لا يتعارض مع قيمها الأصيلة، وعاداتها وتقاليدها الصالحة، التي تعطيها التميز والاختلاف عن غيرها من المجتمعات التي تؤمن بالفلسفات والأفكار المادية الوضعية.

إن تحرير الإعلام العربي من ربقة التبعية والتقليد، والارتقاء به إلى مستوى الإبداع والاستقلال والذاتية، عمل شاق وكبير لذلك لا بد من أن

تسهم في تحقيقه مختلف الفئات والجهات والمؤسسات ذات العلاقة بالنشاط الإعلامي، سواء على المستوى السياسي، أو المستوى العلمي الأكاديمي، أو المستوى العملي المهني، أو المستوى الاجتماعي والاقتصادي حسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى بعض النقاط الهامة التي نعتقد أن عملية التحرير تنطلق فيها عبر المستويات المختلفة:

(أ) فعلى المستوى السياسي، لا بد من أن تؤمن الحكومات والأنظمة السياسية العربية بأهمية أن يوجد نظام إعلامي عربي له شخصية ذاتية، وأن يركز هذا النظام على مبادئ الإسلام وقيمه، ويلبي الاحتياجات الحقيقية للمجتمع، ويقوم على أكتاف مواطني ذلك المجتمع ولا بد من أن ترسم لهذا النظام استراتيجية عامة واضحة المعالم، وسياسات عملية تقوم على أسس عملية واقعية، وأن يتمتع النظام بشيء من الحرية والمرونة التي تحقق المصلحة العامة، وألاّ يكبل النظام بالبيروقراطية والروتين.

(ب) وعلى المستوى الاجتماعي والاقتصادي، لا بد من العمل على تغيير النظرة التقليدية الدونية للنشاط الإعلامي التي تسود المجتمعات العربية ولا بد من إقناع القطاع الحكومي والأهلي بأهمية الاستثمار الاقتصادي في ميدان الإعلام، إذ أن النشاط الإعلامي اليوم في كافة صوره ومستوياته مكلف اقتصادياً، مما يتطلب أن ينفق عليه بسخاء، وأن يحظى بالعناية القصوى والاهتمام الكافي.

(ج) وعلى المستوى الأكاديمي، لا بد من العناية بافتتاح وتدعيم كليات وأقسام، ومعاهد التدريس الأكاديمي للإعلام في كل قطر عربي، ولا بد من أن تتوافر لهذه الكليات والأقسام والمعاهد الإمكانات البشرية والمادية الملائمة، التي تجعلها تستطيع القيام بمهمتها في إعداد وتهيئة الكوادرالإعلامية المتخصصة، التي تسهم في دفع عجلة النمو الإعلامي، وتعمل على تحقيق سياسة الاعتماد على الذات كما أن هذا الاهتمام بالكليات والأقسام والمعاهد الإعلامية الوطنية، سيقلل من كثرة الإبتعاث إلى الخارج الذي يعد بصورته الحالية تكريساً لحالة التبعية والتقليد، التي يعيش فيها الإعلام العربي المعاصر ولا ينبغي أن تقتصر مهمة هذه الجهات الأكاديمية على الإعداد الأكاديمي والمهني الصرف، بل لا بد أن تعنى بالإعداد الفكري والأخلاقي المتميز للكوادر التي تخّرجها.

(د) وعلى المستوى المهني الواقعي، لا بد من أن يستشعر العاملون في الميادين الإعلامية المختلفة - سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الأهلي - مسؤوليتهم العظيمة التي يضطلعون بها ولا بد من العناية بحسن اختيار المسؤولين والعاملين في المؤسسات الإعلامية التوجيهية، وتنقية الساحة الإعلامية من الدخلاء عليها، كما أن توفير فرص التأهيل والتدريب للعاملين في القطاع الإعلامي يعد مطلباً أساسياً في سبيل تكوين وتهيئة كوادر إعلامية ذات قدرة وكفاءة وتميز.